

الفصل الرابع

تحليل كتاب لطائف الإشارات لآيات الليل والنهار المتعلقة بإدارة الوقت

أ. تصنيف الآيات القرآنية المتعلقة بالليل والنهار في إدارة الوقت

ظاهرة الليل والنهار هي من آيات قدرة الله. وقد وردت كلمة "الليل" في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة في واحد وثمانين آية. أما كلمة "النهار" فقد وردت سبعا وخمسين مرة في خمسين آية.^١ في هذا البحث، جمع البيانات من خلال تحديد الآيات التي تتضمن كلمتي "الليل" و"النهار" في القرآن الكريم. ولتركيز التحليل وفقاً لموضوع إدارة الوقت، تم تصنيف هذه البيانات على ثلاثة معايير رئيسية: أولها وردت كلمتي "الليل" و"النهار" في آية واحدة، وثانيها الآيات التي تتحدث عن خلق الليل والنهار في سياق النشاط البشري، وثالثها الآيات التي تتضمن أوامر أو نصائح تتعلق باستخدام الوقت في الليل والنهار. وقد طبقت هذه المعايير لضمان صلة الآيات المحللة بموضوع البحث حول إدارة الوقت عند المفسر الصوفي.

التصنيف الأول: جمع الآيات التي ذكرت كلمتي "الليل" و"النهار" معاً في آية واحدة. من كثرة الآيات التي ذكرت فيها كلمتا الليل والنهار وجدت خمسون اقتراناً بين الليل والنهار في اثنتين وأربعين آية في القرآن الكريم، والتي سيتم ذكرها في الجدول التالي:

^١ ابة سلمة الف سمنفي، *Keseimbangan Matematika dalam Al-Qur'an* (جاكرتا: ريفولكا، ٢٠٠٧)،

الجدول ٤. ١ : الآيات التي ذكرت كلمتي "الليل" و"النهار" معًا في آية واحدة

الرقم	السورة	الآية	الجملة
١.	البقرة	١٦٤	١
٢.	البقرة	٢٧٤	١
٣.	آل عمران	٢٧	٢
٤.	آل عمران	١٩٠	١
٥.	الأنعام	١٣	١
٦.	الأنعام	٦٠	١
٧.	الأعراف	٥٤	١
٨.	يونس	٦	١
٩.	يونس	٢٤	١
١٠.	يونس	٦٧	١
١١.	هود	١١٤	١
١٢.	الرعد	٣	١
١٣.	الرعد	١٠	١
١٤.	إبراهيم	٣٣	١
١٥.	النحل	١٢	١
١٦.	الإسراء	١٢	٢
١٧.	طه	١٣٠	١
١٨.	الأنبياء	٢٠	١
١٩.	الأنبياء	٣٣	١
٢٠.	الأنبياء	٤٢	١
٢١.	الحج	٦١	٢
الرقم	السورة	الآية	الجملة
٢٢.	المؤمنون	٨٠	١
٢٣.	النور	٤٤	١
٢٤.	الفرقان	٤٧	١
٢٥.	الفرقان	٦٢	١
٢٦.	النمل	٨٦	١
٢٧.	القصص	٧٢	١
٢٨.	القصص	٧٣	١
٢٩.	الروم	٢٣	١
٣٠.	لقمان	٢٩	٢
٣١.	سبأ	٣٣	١
٣٢.	فاطر	١٣	٢
٣٣.	يس	٣٧	١
٣٤.	يس	٤٠	١
٣٥.	الزمر	٥	٢
٣٦.	غافر	٦١	١
٣٧.	فصلت	٣٧	١
٣٨.	فصلت	٣٨	١
٣٩.	الجاثية	٥	١
٤٠.	الحديد	٦	٢
٤١.	نوح	٥	١
٤٢.	المزمل	٢٠	٢٢

التصنيف الثاني: جمع الآيات التي تحدّثت عن خلق الليل والنهار في سياق النشاط البشري.

هذا البحث للكشف عن نظرة القرآن للعلاقة بين الخلق والنشاط البشري. وقد تم العثور على تسع

آيات التي تحدّثت عن خلق الليل والنهار في سياق النشاط البشري، وسيتم توضيحها في الجدول

التالي:

الجدول ٤ . ٢ : الآيات التي تحدّثت عن خلق الليل والنهار في سياق النشاط البشري

البيان	السورة والآية	الرقم
جعل الله الليل مظلماً للراحة والسكون، والنهار مضيئاً لطلب الرزق والمعاش، وفي تعاقبهما آية للمتفكرين.	سورة يونس (١٠) : الآية ٦٧	١.
جعل الله الليل والنهار آيتين: آية الليل فأظلم لا يرى فيه شيء، وجعل آية النهار مضيئة لتبصروا وتبتغوا فضل الله.	سورة الإسراء (١٧) : الآية ١٢	٢.
جعل الله الليل لباساً مظلماً والنوم راحة للأبدان، وجعل النهار مضيئاً للسعي وطلب الرزق.	سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٤٧	٣.
أن الله جعل الليل والنهار يتعاقبان وفقاً لدوران الأرض حول محورها. فالليل والنهار يتعاقبان في تتابع مستمر. وينبغي أن تكون هذه الظواهر الكونية موضع تأمل لمن أراد أن يتعظ بأن كل ما خلق الله له حكمة عظيمة لمخلوقاته، ولمن أراد أن يشكر الله بقلبه ولسانه لنيل رضاه.	سورة الفرقان (٢٥) : الآية ٦٢	٤.
جعل الله الليل للنوم والراحة، والنهار مضيئاً للعمل وكسب الرزق. وفي تعاقبهما آية للمؤمنين على قدرة الله في البعث بعد الموت، كما يبعث الإنسان من نومه.	سورة النمل (٢٧) : الآية ٨٦	٥.
أنّ الله هو الذي جعل الليل وقتاً للراحة من التعب بسبب النشاطات في النهار	سورة القصص (٢٨) : الآية ٧٢	٦.

٧.	سورة القصص (٢٨) : الآية ٧٣	أن الله جعل الليل والنهار يتعاقبان: الليل للراحة بعد تعب العمل، والنهار مضيئاً للسعي وطلب فضله، ولتشكروا نعمه عليكم.
٨.	سورة الروم (٣٠) : الآية ٢٣	النوم في الليل راحة بعد نشاط النهار، والسعي في النهار طلباً لفضله ورزقه.
٩.	سورة غافر (٤٠) : الآية ٦١	خلق الله الليل مظلماً ليكون وقتاً للراحة والسكون، وجعل النهار مضيئاً ليتمكن الناس من العمل وكسب الرزق.

التصنيف الثالث: جمع الآيات التي تضمنت أوامر أو نصائح تتعلق باستخدام الوقت في

الليل والنهار.^٣ من خلال الآيات التي ذكرت كلمتي "النهار" و"الليل" وجد ثلاث آيات تحتوي على

أوامر تتعلق باستخدام الوقت، وسيتم توضيحها في الجدول التالي:

الجدول ٤. ٣ :

الآيات التي تضمنت أوامر أو نصائح تتعلق باستخدام الوقت في الليل والنهار

الرقم	السورة والآية	البيان
١.	سورة هود (١١) : الآية ١١٤	تأمر هذه الآية المسلمين بإقامة الصلاة كاملة بأركانها وشروطها، وأدائها خمس مرات في اليوم واللييلة في أوقاتها المحددة وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء.

^٣ يستند هذا التصنيف على القاعدة الأصولية يعني: إذا تجردت صيغة الأمر اقتضت الوجوب أو الندب. انظر: ابو بكر إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي، *اللمع في اصول الفقه* (جاكرتا: دار الكتب الإسلامية، ٢٠١١)، ٣١-٣٢.

٥	سورة طه (٢٠) : الآية ١٣٠	في هذه الآية يأمر الله تعالى بالدعاء إليه وحده والتسبيح بحمده. وأن يكون ذلك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، والتسبيح كذلك في ساعات الليل بصلاة الليل، وفي ساعات النهار.
١٣	سورة المزمل (٧٣) : الآية ٢٠	تبيّن هذه الآية كيف يتفهم الله محدودية الإنسان في أداء العبادة، خاصة في سياق قيام الليل. ويظهر الله تفهمه لمختلف الظروف التي يواجهها المسلمون، كالمرض والسفر لطلب الرزق أو الجهاد في سبيل الله. ومن خلال هذه الآية، يمنح الله المرونة في العبادة بالسماح بقراءة ما تيسر من القرآن وتقديم بدائل أخرى للعبادة مثل إيتاء الزكاة وتقديم القرض الحسن (الإنفاق/الصدقة). والأهم هو الاستمرارية في العبادة وفقاً لقدرة كل فرد. كما تؤكد هذه الآية أن كل عمل صالح، مهما كان صغيراً، سينال أفضل الجزاء من الله.

بناءً على تصنيف الآيات التي تضمنت كلمتي "الليل" و "النهار"، وخاصة الآيات التي توضح

الغاية من خلق الليل والنهار والآيات التي تضمنت أوامر متعلقة باستخدام الوقت، وجدت اثنتا عشرة

آية تتعلق بموضوع إدارة الوقت، وهي: سورة يونس الآية ٦٧، سورة الإسراء الآية ١٢، سورة الفرقان

الآية ٤٧، سورة الفرقان الآية ٦٢، سورة النمل الآية ٨٦، سورة القصص الآية ٧٢، سورة القصص

الآية ٧٣، سورة الروم الآية ٢٣، سورة غافر الآية ٦١، سورة هود الآية ١١٤، سورة طه الآية ١٣٠

وسورة المزمل الآية ٢٠. سيتم دراسة هذه الآيات وفقاً عند القشيري.

ب. تفسير القشيري في كتاب لطائف الإشارات للآيات الليل والنهار

١. الوقت عند القشيري

التعريف العام للوقت هو مقدار من الزمان، وهو أشمل من الزمان. أما الزمان فهو قدر معين من الوقت. والوقت أيضاً يُسمى باعتبار استخدامه، وهو الزمان المستغرق لأداء أي عمل، وجمعه أوقات.^٤

رأى القشيري أن الوقت وعاء يحتوي الأفعال والأحوال التي تقع فيه. وقد أوضح أن الأوقات في حد ذاتها متجانسة من حيث طبيعتها الزمنية، وأن الاختلاف بينها يكمن في ما يحدث فيها من أعمال وأحوال. هذا كما شرحه القشيري في تفسير سورة الفرقان الآية ٦٢ وقال:

"الأوقات متجانسة، وتفضيلها بعضها على بعض على معنى أنّ الطاعة في البعض أفضل والثواب عليها أكثر. والليل خلف النهار والنهار خلف الليل، فمن وقع له في طاعة الليل خلل فإذا حضر بالنهار فذلك وجود جبرانه، وإن حصل في طاعة النهار خلل فإذا حضر بالليل ففي ذلك إتمام لنقصانه".^٥

بين القشيري أن تفاضل الأوقات يرجع إلى قيمة الطاعات التي تؤدي فيها وما يترتب عليها من ثواب. وأشار إلى التكامل بين الليل والنهار في جبر النقص في العبادة، فمن قصر في طاعة الليل يمكنه استدراك ذلك في النهار، ومن حصل له تقصير في طاعة النهار فيمكنه إتمام ما فاتته في الليل.^٦

^٤ خالد سعد محمد السامولي، *إدارة الوقت* (الهرم: الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨)، ٢١.

^٥ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد ٣ (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون التاريخ)، ٧٨.

^٦ قد شرح القشيري رأيه عن هذا الوقت أيضاً في تفسير سورة القصص الآية ٧٣. انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد ٢، ٦٤٨.

يؤكد القشيري أن قيمة الوقت تعتمد على الطاعات التي تؤدي فيه والثواب الناتج عنها، وليس مجرد كيان للقياس. ويبدو تفسير القشيري أكثر تفصيلاً في شرح وظيفة الوقت، ويعكس المنهج الصوفي الذي يحول الوقت من مجرد مقياس إلى وعاء للتجربة الروحية. ونرى ذلك أيضاً من خلال شرح القشيري عن الصوفية الذين يشغلون أنفسهم بما هو أولى لهم من العبادات.^٧

٢. خُلِقَ النهار وقتاً للعمل والليل للراحة

جعل الله الليل للنوم والراحة، والنهار مضيئاً للعمل وكسب الرزق.^٨ كما قوله تعالى:

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ (النمل: ٨٦)

وشرح القشيري لهذه الآية في تفسيره:

"ثم كرّر ذكر الليل والنهار واختلافهما: - «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أي ليكون الليل وقت سكوتهم، والنهار وقت طلب معاشهم".^٩

قد بين القشيري لهذه الآية في تفسيره أن الله سبحانه وتعالى قد جعل نظام الليل والنهار متكاملًا لمصلحة الإنسان. فقد جعل النهار مضيئاً ليكون وقتاً مناسباً لطلب المعاش والرزق، بينما جعل الليل وقتاً للسكون والراحة. ووضح القشيري تفسيراً مماثلاً، قد ورد أيضاً في تفسير سورة القصص

^٧ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية (القاهرة: مؤسسة دار الشعب، ١٩٨٩)، ١٣١.

^٨ إن الغرض من خلق الليل والنهار هذا قد ذكر في القرآن مراراً وتكراراً في سورة يونس الآية ٦٧، سورة الإسراء الآية ١٢، سورة الفرقان الآية ٤٧، سورة الفرقان الآية ٦٢، سورة النمل الآية ٨٦، سورة القصص الآية ٧٢، سورة القصص الآية ٧٣، سورة الروم الآية ٢٣، وسورة غافر الآية ٦١.

^٩ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٥١.

الآية ٧٢. أن هذا النظام الإلهي يعكس حكمة الله ورحمته بعباده، حيث يتيح لهم وقتاً للعمل والكسب في ضوء النهار، ثم وقتاً للراحة والخلوة مع الله في سكون الليل. وأشار إلى أن هذا التنظيم الرباني للوقت لا يأتي به إلا الله وحده، فهو الذي يمنح عباده فرصة الراحة في الليل بعد تعب النهار وانشغالهم بأمور معاشهم.^{١٠}

أما الغاية من جعل الله سبحانه وتعالى تعاقب الليل والنهار وتبادلها فهي آية عظيمة تدل على كمال قدرته وعظيم سلطانه. وقد بيّن ذلك القشيري في تفسيره لسورة الإسراء الآية ١٢. وهذا النظام المحكم في تناوب الليل والنهار يؤكد وحدانية الله تعالى وكمال قدرته في تدبير الكون.^{١١}

هذا التفسير يتوافق مع المفسرين بشكل عام ويوضح أن تفسير القشيري يستوفي أحد شروط قبول التفسير الصوفي وهو عدم ترك المعنى الظاهر للآية عند تفسير آيات القرآن الكريم.

٣. خُلِقَ النهار والليل وقتاً للعبادة

أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الليل والنهار وقتين لأداء العبادة والتقرب إليه. ويشير إلى أن هذين الوقتين يمثلان فرصة للإنسان للاستقامة في معرفة عظمة الله وجلاله. وقد بيّن ذلك القشيري في تفسيره لسورة الإسراء الآية ١٢:

"ثم جعلهما وقتاً صالحاً لإقامة العبادة، والاستقامة على معرفة جلال إلهيته فالعبادة شرطها الدوام والاتصال، والوظائف حقها التوفيق والاختصاص ولو وقع في بعض العبادات تقصير أو حصل في أداء بعضها تأخير تداركه بالقضاء حتى يتلافى التقصير. ويقال من وجوه الآيات في الليل والنهار أفراد النهار بالضياء من غير سبب، وتخصيص الليل بالظلام بغير أمر

^{١٠} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٧٨.

^{١١} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ٣٣٩.

مكتسب، ومن ذلك قوله تعالى: «فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً»: وهو اختلاف أحوال القمر في إشراقه ومحاقه، فلا يبقى ليلتين على حال واحدة، بل هو في كل ليلة في منزل آخر، إما بزيادة أو بنقصان. وأمّا الشمس فحالتها الدوام والناس كذلك أوصافهم فأرباب التمكين الدوام شرطهم، وأصحاب التلوين التنقل حقهم.^{١٢}

قد وضع القشيري على أن العبادة تتطلب الاستمرارية والمداومة، وأن الواجبات الدينية تحتاج إلى الإخلاص والالتزام. وإذا حدث تقصير في أداء بعض العبادات أو تأخير في تنفيذها، فيجب على المسلم أن يتدارك ذلك بالقضاء حتى يعوض ما فاتته.

ووضع القشيري على أهمية استخدام كل لحظة من الزمن في العبادة، محذراً من أن إهمال أي وقت دون عبادة - سواء كانت فرضاً أو نفلاً - يعد خسارة كبيرة وحسرة عظيمة للمؤمن. قد بين ذلك القشيري في تفسيره لسورة هود الآية ١١٤:

"استغرق جميع الأوقات بالعبادات، فإنّ إخلالك لحظة من الزمان بفرض تؤديه، أو نفل تأتيه حسرة عظيمة وخسران مبين."^{١٣}

تتحدث آيات كثيرة عن العبادة في هذين الوقتين، ومنها ما ورد في سورة طه الآية ١٣٠ عن أهمية التسبيح في أوقات معينة. قوله تعالى:

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ (طه: ١٣٠)

^{١٢} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ٣٣٩.

^{١٣} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ١٦١.

وقد بيّن القشيري أربعة أوقات رئيسية للتسبيح لله في تفسير لهذه الآية. أولها، قبل طلوع الشمس الذي يؤدي في بداية اليوم للحصول على البركة طوال النهار والخير في الصباح. وثانيها، قبل غروب الشمس الذي يؤدي عندما يبدأ النهار في الانحسار للحصول على الخير في الليل. وثالثها، في ساعات الليل (من آناء الليل)، لأن كمال صفاء القلب يتحقق بذكر الله في حال الخلوة. ورابعها، في أطراف النهار، مما يشير إلى أهمية الاستمرار في ذكر الله في كل الأحوال.^{١٤}

فيما يتعلق بكثرة استغلال الوقت للعبادة، بين القشيري في تفسيره لسورة المزمل الآية ٢٠ أن الله سبحانه وتعالى يعلم تماماً عبادة الليل التي يقوم بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه المؤمنون. وقد كانت هذه العبادة تؤدي في أوقات متفاوتة، ما بين ثلثي الليل ونصفه وثلثه. والله عز وجل، بصفته خالق الليل والنهار ومدبرهما، يدرك أن عباده سيجدون صعوبة في قياس وقت الليل والوفاء بالتزامات قيام الليل بشكل مستمر. ولذلك، منح الله تخفيفاً بالسماح بقراءة ما تيسر من القرآن حسب القدرة، وقيل إن ذلك يتراوح بين خمس آيات وعشر آيات فأكثر.^{١٥}

وفضلاً عن ذلك، راعى الله سبحانه وتعالى الظروف المختلفة التي قد تمنع الشخص من أداء صلاة الليل، كالمرض والسفر. وبرحمته، منح الله رخصة لذوي الأعذار الشرعية بإسقاط وجوب قيام الليل عنهم. وبدلاً من ذلك، أمر الله بإقامة الصلوات المفروضة وإقراض الله قرضاً حسناً من خلال

^{١٤} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ٤٨٧.

^{١٥} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٦٤٥.

الصدقة والإنفاق في سبيل الله. ويؤكد القشيري أن كل عمل صالح يقوم به المؤمن سيجد ثوابه عند الله، وأن الأجر الموعود أفضل وأثمن من كل متاع الدنيا.^{١٦}

٤. مراتب الناس في استخدام وقتي الليل والنهار

ذهب بعض الصوفية إن مراتب الناس في استخدام وقتي الليل والنهار تنقسم إلى درجات روحانية. وكذلك ذهب القشيري إلى هذا الرأي حيث بيّن في تفسيره لسورة يونس الآية ٦٨ أن مراتب الناس في استخدام وقتي الليل والنهار تنقسم إلى درجات، وقال:

"الليل لأهل الغفلة بعد وغيبة، ولأهل الندم توبة وأوبة، وللمحبين زلفة وقربة فالليل بصورته غير مؤنس، لكنه وقت القربة لأهل الوصلة".^{١٧}

أوضح القشيري في تفسيره مراتب الناس في استخدام وقتي الليل والنهار. فالليل عنده له معانٍ مختلفة لكل فئة من الناس. فبالنسبة لأهل الغفلة، الليل ليس إلا وقت الغفلة والغيبة، بينما لأهل الندم، يصبح الليل فرصة للتوبة والرجوع إلى الله. أما بالنسبة للمحبين، فالليل وقت خاص للشعور بالقرب منه سبحانه.^{١٨}

وشرح القشيري بتفصيل أن حالة السهر في الليل عند المحبين لها بُعدان. وقد بيّن ذلك في تفسيره للآية ٤٦ من سورة الفرقان. فعندما يكونون في حالة الوصال، لا يستطيعون النوم لشعورهم بالسعادة الكاملة. وعلى العكس، عندما يكونون في حالة الفراق، يبقون مستيقظين بسبب القلق

^{١٦} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٦٤٦.

^{١٧} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ١٠٧.

^{١٨} وقد ورد رأي القشيري في تقسيم مراتب الناس هذه أيضاً في تفسيره لآيات أخرى، وهي: الآية ٤٧ من سورة الفرقان، والآية ٧٣ من سورة القصص، والآية ٦١ من سورة غافر.

العميق. والنوم أيضاً معانٍ مختلفة لكل فئة. فهو عقوبة لأهل الغفلة، بينما يكون رحمة من الله لأهل الاجتهاد ليستريحوا من تعب المجاهدة الروحية.^{١٩}

وفي بيانه عن السكون، يصف القشيري ثلاث فئات مختلفة. وقد بيّن ذلك في تفسيره للآية ٧٣ من سورة القصص. الفئة الأولى هي أهل الغفلة الذين يجدون السكون في غفلتهم. والفئة الثانية هي أهل المحبة الذين ينالون السكون بسبب قربهم من الله. أما الفئة الثالثة، وهم أصحاب الاشتياق، فلا يجدون السكون لا في الليل ولا في النهار لأنهم دائماً في حالة شوق و"احتراق" روحي شديد.^{٢٠}

وأكد القشيري أن الوقت في حقيقته وعاء محايد، والاختلاف يكمن في كيفية ملئه. فالليل يبدو قصيراً ومباركاً لمن هم قريبون من الله، بينما يبدو طويلاً ومتعباً لمن هم بعيدون عنه. والخلاصة أن جودة استثمار الوقت عند الإنسان ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمستوى قربه الروحي من الله، رغم أن كمية الوقت المتاحة متساوية للجميع.^{٢١}

ج. تحليل مفهوم إدارة الوقت في آيات الليل والنهار عند القشيري في كتاب لطائف الإشارات

١. تحليل تفسير القشيري في كتابه لطائف الإشارات

تقييم تفسير القشيري لليل والنهار في القرآن وفقاً للقواعد الثلاث الرئيسية للتفسير الصوفي

(التفسير الإشاري):

^{١٩} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد ٢، ٦٣٩.

^{٢٠} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد ٣، ٣١٣-٣١٤.

^{٢١} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد ٣، ٧٩.

أولاً: من حيث التوافق مع المعنى الظاهر، حافظ القشيري على المعنى الظاهر للآيات. ويتضح ذلك من خلال تفسيره لتعاقب الليل والنهار كظاهرة كونية وتقسيم لأوقات النشاط البشري، حيث النهار للسعي في المعاش والليل للراحة. كما قوله تعالى:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ (القصص/٢٨: ﴿٧٢﴾)

وقد كتب القشيري في كتابه:

"إن دام في الوصلة نهاركم فأَيَّ سبيل للواشين إلى تنغيص سروركم؟ وإن دام نهار معاشكم ووقت اشتغالكم بحظوظكم فمن إله غير الله يأتاكم بليل تسكنون فيه إلى الله إلا الله، وتستريحون من أشغالكم بالخلوة مع الله إلا الله".^{٢٢}

ومن الأمثلة الأخرى التي تدلّ على أنّ القشيري حافظ على المعنى الظاهر في تفسيره ما يُرى في تفسيره لقوله تعالى في سورة المزمل الآية ٢٠، وهي:

«إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» من المؤمنين. «وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» فهو خالقهما «عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُخْصَوْهُ» وتطيعوه. «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» أي: خَفَّفَ عنكم، «فَأَفْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» من خمس آيات إلى ما زاد. ويقال: من عشر آيات إلى ما يزيد. «عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ» يسافرون، ويعلم أصحاب الأعذار، فنسخ عنهم قيام الليل. «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» المفروضة. «وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا» مضى معناه. «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ» أي: ما تقدّموا من طاعة تجدوها عند الله ثواباً هو خير لكم من كلّ متاع الدنيا.^{٢٣}

^{٢٢} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٧٢.

^{٢٣} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٣، ٦٤٦-٦٤٥.

هذا يدلّ على أنّ القشيري اهتمّ كثيراً بالمعنى الظاهر للآية قبل تقديم التفسير الروحي. فهو لم يتجاهل أو يرفض المعنى الأساسي للآية الذي يشير إلى الظواهر الطبيعية الملموسة ووظيفتها في حياة الإنسان اليومية. ويعكس هذا المنهج مبدأً مهماً في التفسير الإشاري، وهو أنّ المعنى الروحي يجب أن يُبنى على - وليس أن يحلّ محلّ - الفهم الظاهر الصحيح لآيات القرآن.

ثانياً: ومن حيث الاستناد إلى الدليل الشرعي، فإنه يُعدّ شرطاً أساسياً لتجنّب الانحراف والتأويل البعيد عن المقصد الأصلي للنص. ونرى مثلاً على ذلك في تفسير القشيري لقوله تعالى في سورة طه الآية ١٣٠:

فَاضْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (طه/١٣٠: ١٣١)

حيث فسّر:

"سماع الأذى يوجب المشقة، فأزال عنه ما كان لحقه من المشقة عند سماع ما كانوا يقولون، وأمره: إن كان سماع ما يقولون يوحشك فتسبيحنا- الذي تثني به علينا- يروّحك. «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ»: أي في صدر النهار ليبارك لك في نهارك، وينعم صباحك «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» أي عند نقصان النهار ليطيب ليلك، وينعم رواحك. «وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ» أي في ساعات الليل فإن كمال الصفوة في ذكر الله في حال الخلوة. «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» أي استدم ذكر الله في جميع أحوالك." ٢٤

لقد ورد في القرآن والسنة عن التسبيح، منها قوله تعالى في سورة الروم الآية ١٧ والحديث

الذي رواه الترمذي، وهو:

^{٢٤} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ٤٨٧.

"عن سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَيْعِجُرُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتُبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ".^{٢٥}

وهذا يدل على أن تفسير القشيري موافق للدليل الشرعي.

ثالثاً: وفي مسألة الكشف عن المعنى الباطن، ألا يستخدم تفسيرات تنحرف أو تبعد كثيراً عن المعنى الأصلي. ونرى ذلك في تفسيره لقوله تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ». وكتب القشيري عن التفسير لهذه الآية:

"الحسنات ما يجود بها الحق، والسيئات ما يذنبها العبد، فإذا دخلت حسناته على قبائح العبد محتها وأبطلتها. ويقال حسنات القرية تذهب بسيئات الزّلة. ويقال حسنات الندم تذهب بسيئات الجرم. ويقال (انسكاب) العبرة تذهب العثرة. ويقال حسنات العرفان تذهب سيئات العصيان. ويقال حسنات الاستغفار تذهب سيئات الإصرار. ويقال حسنات العناية تذهب سيئات الجناية. ويقال حسنات العفو عن الإخوان تذهب الحقد عليهم. ويقال حسنات الكرم تذهب سيئات الخدم. ويقال حسن الظنّ بالناس يذهب سوءاتهم بكم. ويقال حسنات الفضل من الله تذهب سيئات حسابان الطاعة من أنفسكم. ويقال حسنات الصدق تذهب بسيئات الإعجاب. ويقال حسنات الإخلاص تذهب بسيئات الرياء".^{٢٦}

أظهر القشيري في هذا النص الحفظ على التوازن بين تفسير المعنى الباطن والمعنى الظاهر من خلال منهج منظم ومنطقي. وقد استخدم لغة واضحة مع تعبير "يقال" الذي يدل على حذره في

^{٢٥}مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، المجلد ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٧)، ٥٠١.

^{٢٦}عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد ٢، ١٦١.

التفسير. وكل علاقة بين الحسنات والسيئات التي أنشأها لها صلة منطقية وتُفهم، مثل حسنات القرية التي تمحو سيئات الزلة أو حسنات الندم التي تمحو سيئات الجرم.

فقد نجح تفسير القشيري في إثراء الفهم الروحي للوقت مع الحفاظ على التوازن بين المعنى الظاهر والباطن، ولم يخرج عن الحدود المقبولة في تقاليد التفسير الإشاري.

٢. مبادئ إدارة الوقت في الليل والنهار عند القشيري

تمتلك إدارة الوقت عند القشيري فهما عميقا في التقاليد الصوفية، حيث لا تقتصر على التقسيم الكمي للوقت فحسب، بل تشمل أيضاً الجودة الروحية. ففي رؤيته، يجب إدارة الوقت بتوازن بين العبادة والنشاطات الدنيوية، حيث يتم استغلال النهار للكسب وأداء الواجبات الاجتماعية، بينما يُخصص الليل للتعلم الروحي والعبادة.

ة

تؤكد أولويات استخدام الوقت في المنظور الصوفي عند القشيري على تحقيق القرب من الله، حيث يجب توجيه كل نشاط، سواء كان دنيوياً أم أخروياً، نحو هذا الهدف. تُرى ذلك من خلال شرحه لغاية خلق الليل والنهار للعبادة، يعني:

"ثم جعلهما وقتاً صالحاً لإقامة العبادة، والاستقامة على معرفة جلال إلهيته".^{٢٧}

وأما في غير ذلك، فقد قدّم النصيحة باستغلال الوقت في العبادة والتقرب إلى الله:

^{٢٧} تفسير القشيري لسورة الإسراء الآية ١٢. انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد

"استغرق جميع الأوقات بالعبادات، فإنَّ إخلالك لحظة من الزمان بفرض توديه، أو نفل تأتيه
حسرة عظيمة وخسران مبين." ٢٨

إنَّ تفسير القشيري يشير إلى كيفية إيلاء المتصوفة أهمية قصوى لوقتهم في العبادة. ويتميز هذا
النهج التفسيري بخصوصيته مقارنة بالمفسرين الآخرين، مبرزاً البعد الصوفي الذي يُعدّ سمة مميزة للقشيري.
ويعرض ابن كثير في تفسيره لتلك الآية رؤية مختلفة:

"يتمنّ تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل،
وينتشروا في النهار للمعاش والصنائع، والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع
والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجازات
وغير ذلك." ٢٩

على خلاف القشيري الذي يركز على البعد الصوفي، فإنَّ تفسير ابن كثير يتجه أكثر نحو
الجوانب العملية للحياة اليومية وكيفية ارتباط الآية باحتياجات الإنسان الملموسة. ولا يقتصر ابن كثير
على شرح الليل للراحة والنهار للعمل فحسب، بل يتناول أيضاً الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لحياة
الإنسان. فهو يذكر "المعاش والصنائع، والأعمال والأسفار" مما يدل على تركيزه على الأنشطة
الإنتاجية للإنسان.

إنَّ العمل الذي يراه الإنسان مجرد روتين يومي، يكون عند الله بمثابة عبادة عندما يقترب بنية
العبادة، وابتغاء الأجر، وأداء الواجبات تجاه من هم تحت رعايتنا.

^{٢٨} تفسير القشيري لسورة هود الآية ١١٤. انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، المجلد

٢، ١٦١.

^{٢٩} عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المجلد ٥ (بيروت: دار الكتب العلمية،

١٩٩٨)، ٤٦.

في سياق فعالية الوقت، يربطها القشيري بتحقيق المقامات الروحية، حيث تختلف جودة استخدام الوقت عند الشخص وفقاً لمستواه الروحي - بدءاً من أهل الغفلة الذين يميلون إلى إضاعة الوقت إلى المحبين القادرين على الاستفادة من كل لحظة لتعزيز قربهم من الله. وبين القشيري في تفسيره:

"جعل الليل وقتاً لسكون قوم ووقتاً لانزعاج آخرين فأرباب الغفلة يسكنون في ليلهم، والمحبون يسهرون في ليلهم إن كانوا في روح الوصال، فلا يأخذهم النوم لكمال أنسهم، وإن كانوا في ألم الفراق فلا يأخذهم النوم لكمال قلقهم، فالسهر للأحباب صفة: إمّا لكمال السرور أو لهجوم الهموم. ويقال جعل النوم للأحباب وقت التجلّي بما لا سبيل إليه في اليقظة، فإذا رأوا ربهم في المنام يؤثرون النوم على السهر."^{٣٠}

ويؤكد هذا المفهوم أن فعالية الوقت لا تُقاس فقط بالإنتاجية الظاهرية، بل بمدى مساهمة ذلك الوقت في رفع الدرجة الروحية للشخص.

من حيث التوافق، يتماشى فكر القشيري في تقسيم الوقت بين النهار للأنشطة الدنيوية والليل للعبادة مع منهج الإمام الغزالي الذي قسم الوقت إلى أوراد النهار وأوراد الليل.^{٣١} وكلاهما يؤكد على أهمية التوازن بين النشاطات الدنيوية والأخروية. كما أن نظرة القشيري إلى إدارة الوقت كوسيلة للتقرب إلى الله تتناغم مع فكر الصوفيين الآخرين الذين يرون الوقت وسيلة للتقرب إلى الله.

^{٣٠} تفسير القشيري لسورة الفرقان الآية ٤٧. انظر: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، *لطائف الإشارات*، المجلد

٢، ٦٣٩.

^{٣١} فيما يتعلق بتقسيم الوقت، قسم الغزالي من الوقت في النهار والليل للعبادة والذكر. قسم الغزالي الوقت في النهار إلى سبعة أوراد وقسم الليل إلى خمسة أوراد. يعكس تقسيم الوقت عند الغزالي التوازن بين العبادات المفروضة والسنن والأنشطة الاجتماعية والاحتياجات الشخصية. انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، المجلد ١، ٣٣٤-٣٥٢.

يوضح الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين أهمية استخدام أوقات الليل والنهار عند

الصوفية:

"أن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله. ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة. وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار."^{٣٢}

في التقليد الصوفي، تتميز الرحلة الروحية للسالك بمفهومين مهمين هما المقامات والأحوال. تشير المقامات إلى المراحل الروحية التي يجب اجتيازها بالتسلسل من خلال الجهد الجاد والتمرين الروحي والانضباط الذاتي. أما الأحوال فهي حالات أو أوضاع روحية تأتي وتذهب فجأة دون قصد وهي منحة مباشرة من الله.^{٣٣} وبذلك يؤكد الإمام الغزالي أن الاستخدام الأمثل للوقت في العبادة وذكر الله هو المفتاح الرئيسي للوصول إلى المقامات الروحية العالية في التصوف.

يتشابه مفهوم المقامات الروحية عند القشيري، من أهل الغفلة، أهل الندم والمحبين، مع تصنيف الألووسي للناس إلى أهل الغفلة وأهل الشهوة وأهل الطاعة وأهل المحبة. وذكر الألووسي في كتابه:

"أن سكون الناس في الليل المعروف على أقسام فأهل الغفلة يسكنون إلى استراحة النفوس والأبدان، وأهل الشهوة يسكنون إلى أمثالهم وأشكالهم من الرجال والنسوان، وأهل الطاعة

^{٣٢} أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، المجلد ١، ٣٣٤.

^{٣٣} عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، ١٣٢-١٣٣.

يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وقوة آمالهم. وأهل المحبة يسكنون إلى أنين النفوس وحنين القلوب وضراعة الأسرار واشتعال الأرواح بالأشواق.^{٣٤}

ومع ذلك، هناك اختلافات مهمة في التركيز والتفاصيل. فالقشيري لم يقدم تقسيماً تفصيلياً للوقت مثل الغزالي الذي حدد سبعة أوراد في النهار وخمسة في الليل. ويركز القشيري على التوازن بين الأنشطة الدنيوية والأخروية، بينما يهتم المفسرون أكثر بتفسير الآيات المتعلقة بالوقت وأبعادها العقائدية. ثرى ذلك في التفسير لقوله تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}

"أي ومن آثار قدرته، ومظاهر رحمته أن خلق لكم الليل والنهار يتعاقبان بدقة وإحكام لتستريحوا بالليل من نصب الحياة وهمومها وأكدارها، ولتلتمسوا من رزقه بالمعاش والكسب في النهار ولتشكروا ربكم على نعمه الجليلة التي لا تُحصى، ومنها نعمة الليل والنهار".^{٣٥}

فإن مفهوم إدارة الوقت عند القشيري متوافق في جوهره مع رؤية العلماء الآخرين. ويمكن التشابه الرئيسي في فهم الوقت كوسيلة مهمة لتعزيز الجودة الروحية والتقرب إلى الله. وتقتصر الاختلافات على جوانب المنهجية والتركيز، وليس على المبادئ الأساسية. وهذا يدل على أنه رغم اختلاف مناهج العلماء في تناول إدارة الوقت، إلا أنهم يشتركون في هدف واحد وهو تحسين استغلال الوقت لتعزيز الجودة الروحية والعلاقة مع الله.

٣. التطبيق العملي والروحي لمفهوم إدارة الوقت عند القشيري

^{٣٤} تفسير سورة غافر الآية ٦١. انظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المجلد ١٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤)، ٣٤٥.

^{٣٥} تفسير سورة القصص الآية ٧٣. انظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المجلد ٢ (القاهرة: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ٤٠٩.

يشكل التطبيق العملي والروحي في إدارة الوقت وحدة لا تتجزأ في حياة المسلم. فعلى المستوى العملي، يؤكد القشيري على أهمية التقسيم المنهجي للوقت بين الأنشطة الدنيوية والأخروية، حيث يجب توجيه كل نشاط نحو تحسين الجودة الروحية. يتبين ذلك في تفسير القشيري لسورة النمل في الآية ٧٦ وسورة القصص في الآية ٧٢. فيتم استثمار وقت النهار بشكل أمثل للعمل والتفاعل الاجتماعي، بينما يركز وقت الليل على العبادة والمناجاة. ويظل هذا المفهوم وثيق الصلة بالحياة العصرية، حيث يعد التوازن بين الإنتاجية والروحانية مفتاح النجاح الشامل للمسلم.

وفي البعد الروحي، يرى القشيري إدارة الوقت وسيلة لتعزيز القرب من الله. ويؤكد أن الانضباط في إدارة الوقت له علاقة مباشرة بتحسين المستوى الروحي للشخص. يتضح ذلك من منظور القشيري حول الوقت وأولوية توظيفه في العبادة والتقرب إلى الله. فكلما كان الشخص أكثر انتظاماً في تنظيم وقته، زادت إمكانياته للوصول إلى مقامات روحية أعلى. وينعكس هذا في مفهومه عن المستويات الروحية للإنسان، من أهل الغفلة إلى المحبين، حيث لكل مستوى طريقة مختلفة في استثمار الوقت للتقرب إلى الله.

كما تظهر الآثار الروحية لإدارة الوقت عند القشيري في تأثيرها على جودة العبادة. فالتنظيم الجيد للوقت لا يؤدي فقط إلى الكفاءة في الأنشطة اليومية، بل يعزز أيضاً الخشوع في العبادة. فعندما يستطيع الشخص تنظيم وقته بشكل جيد، يصبح من السهل عليه تحقيق التركيز في العبادة والحصول على طمأنينة القلب. كما تساعد الإدارة الفعالة للوقت الشخص على الاستمرار في أداء النوافل، مما يؤدي بدوره إلى تعميق تجربته الروحية.

ويوضح هذا الفهم أن مفهوم إدارة الوقت عند القشيري شامل، يتضمن ليس فقط الجانب العملي ولكن أيضاً البعد الروحي العميق. فتطبيقه في الحياة اليومية يساعد الشخص على تحقيق التوازن بين النجاح الدنيوي والإنجاز الروحي، وهو أمر وثيق الصلة بتحديات الحياة المعاصرة. ومن خلال فهم وتطبيق هذا المفهوم، يحسن الشخص كل لحظة من حياته لتعزيز جودة علاقته بالله مع البقاء منتجاً في الحياة الدنيوية.